أسباب انحطاط المسلمين وضعفهم

و لننتقل إلى الشطر الثانى من كلمتى الشهادة ، و هو شهادة أن محمداً رسول الله ، معناها الاعتراف و التصديق من أعماق قلوبنا أن الله أرسله بالهدى و دين الحق ، و ليعلمنا الكتاب و الحكمة و ليخرجنا من ظلمات الشرك و الجهل إلى نور الايمان و العلم و التوحيد .

وليكون لنا أسوة حسنة فى معتقداتنا وأقوالنا وأفعالنا ، و خلاصة القول : إن شهادة أن محمداً رسول الله معناها تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر ، و الابتعاد عما نهى عنه و زجر ، و اتباعه فيما شرع ، فلا نعبد الله إلا بما شرع ، على لسان محمد ﷺ ، ولا نحل إلا ما أحله على لسانه ، و لا نحرم إلا ما حرمه على لسانه ، هو الامام وهو القدرة و الأسوة الحسنة ، نرجع إليه فى مسائل النزاع و الاختلاف ، فما وافق أقواله و أفعاله و تقريراته من أقوال الناس فهو الحق و ما خالفه فهو الخطأ .

و هاكم الأدلة من القرآن :

١— قال الله « ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا »

٢— و قال تعالى : « و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة إذا قضى الله و رسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » .

٣— و قال : فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » .

٤— و قال : لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر » .

٥— وقال تعالى : « فان تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله و الرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا »

٦— « فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت و يسلموا تسليما »

٧— « و من يطع الله و رسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار و من يتول يعذبه عذاباً أليماً » .

٨— « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » .

فنرى فى الآيات أن ما آتانا الرسول وجب علينا أخذه و ما نهانا عنه وجب علينا الانتهاء عنه ، و أنه ليس لنا أى اختيار بعد قضاء الله و رسوله ، ونرى التحذير الشديد عن مخالفة أمر الرسول ﷺ والتهديد بأن المخالفة تجلب علينا الفتنة و العذاب الأليم ،

و إن لنا فى رسول الله الأسوة الحسنة و ذلك لمن يرجو الله و اليوم الآخر .

و الله تبارك و تعالى يقسم أنا لا نؤمن حتى نحكم رسول الله فيما شجر بيننا ، ثم لا نجد حرجاً فى أنفسنا و نسلم تسليماً كاملا .

و إن الله لا يحبنا إلا إذا اتبعنا رسول الله ﷺ ، وأن البرهان العملى على أننا نحب الله هو اتباعنا لهذا الرسول الكريم .

آيات بينات لالبس فيها و محكمات لانسخ فيها ، و لكن مع الأسف لانرى لها كبير أثر فى حياة المسلمين فترى المجتمعات الاسلامية فى هذا الوقت و الحياة العامة غير مصبوغة بصبغة الاسلام ، الى لاصبغة أحسن منها ، و ليس عليها الطابع الاسلامى الذى شرعه الله للمسلمين على لسان رسوله الكريم و ترى الناس قسمين .

١— الأول قسم قد غلبت عليهم الحضارة المادية و قد فتن بها فتنة عمياء ، فأصبحت مقدسات الاسلام و المظاهر الاسلامية و جل تعاليم الرسول ﷺ وتوجيهاته السديدة أشياء قديمة ، وأصبح المتمسكون بها جماعة رجعيين وجامدين ، والتقدم و الحرية و الرقى إنما هى فى الحضارة الغربية ، فالمقياس الصحيح و الميزان الصحيح إنما هى لاسيادهم الغربيين ، فما قالوا أنه حق فهو الحق ، و ما قالوا أنه حسن فهو الحسن ؛ و لو أقام الاسلام آلاف الشواهد على بطلانه و قبحه .

فالصور الخليعة الماجنة و إن ملأت الصحف والمجلات والأسواق و البيوت ، و الأغانى الفاتنة و المعازف و المعاملات الربوية و تحرر المرأة و تهتكها و تبرجها و حلق اللحى هذه الأمور وما شاكلها و ماهو أسوأ منها مما يعمله سادتهم الغربيون تقدم ورقى ، بل من ضرورات الحياة و لو أقام الاسلام مآت الأدلة على تحريمها و بطلانها و حقارتها و خستها .

و قسم آخر متدين و لكن جل تدينهم مع الأسف يقوم على الخرافات و الأساطير و الأوهام ، و الأمانى و الأحلام ، لا يميز بين حق الخالق و المخلوق ، و لم يفهموا مقصود شهادة أن محمداً رسول الله ،

أنه أتباع بدون ابتداع و ثبات على صراطه بدون التواء بل زين لهم الشيطان أن حب الرسول إنما يتمثل فى العلوفيه ، و فى الاحتفلات بميلاده ، و فى دعائه و الاستعانة به و الضراعة إليه .

أيها المسلمون أريد أن الفت نظركم إلى الحقوق التى فرضها الله علينا لرسوله الكريم ﷺ

١ــ أولا طاعته و اتباعه والتمسك بشريعته إلى حد العض بالنواجذ عليها كما أسلفنا لكم الآيات الكثيرة فى هذا الموضوع .

٢ــ حبه أكثر من النفس و الولد و الوالد و الناس أجمعين ، قال رسول الله ﷺ « لا يؤمن أحدكم حتى أكون احب إليه من ولده و والده و الناس أجمعين »

و قال عمر بن الخطاب و الله يا رسول الله لأنت أحب إلى من كل شئ إلا من نفسى ، فقال رسول الله لا ياعمر حتى أكون أحب إليك من نفسك فقال : و الله يا رسول الله لأنت أحب إلى من نفسى فقال رسول الآن يا عمر .

٣ــ تعزيره و توقيره .

قال تعالى « إنا أرسلناك شاهداً و مبشراً و نذيراً لتؤمنوا بالله و رسوله و تعزروه و توقروه »

فاختراع طرق للعبادة لم يعملها رسول الله ولم يأمر بها ، و اتباع الأشخاص فى ذلك مناقض لمقصود شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ ، و مصادم للايات الكثيرة التى تلزمنا باتباعه وحده و التزام صراطه المستقيم ، و تحذرنا من مخالفته و الانحراف عن سبيله .

ومخالف أيضاً لقوله ﷺ الذى كان يردده فى كل خطبة ، أما بعد، فان كل محدث بدعة و كل بدعة ضلالة . و كل ضلالة فى النار .

و مخالف لقوله « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » .

والغلو فيه ودعوى أنه يعلم الغيب ، وأنه ليس من البشر تحقير له ، و تكذيب و طعن فى صميم رسالته ، قال الله تعالى فى كتاب الكريم للرسول الكريم « قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ، و لا أعلم الغيب و لا أقول لكم إنى ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلى » « قل سبحان ربى هل كنت إلا بشراً رسولا » قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى إنما إلهكم إله واحد ، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولايشرك بعبادة ربه أحداً »

فهذه الدروس قد رعاها أصحاب رسول الله ﷺ و يمثل فهمهم الصحيح قول عائشة رضى الله عنها لمسروق « ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية » قال مسروق فقلت لها ما هن » قالت « من زعم أن رسول الله ﷺ رأى ربه ، فقد أعظم على الله الفرية ، و من زعم أن محمداً ﷺ كتم شيئاً فقد أعظم على الله الفرية ، و من زعم أنه يخبر بما فى غد فقد أعظم على الله الفرية . و استشهدت بآيات على كل من الثلاث ، و قالت فى الأخيرة « قل لا يعلم من فى السموات و الأرض الغيب إلا الله » .

و هو ﷺ قد قال « لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله و رسوله ، فالصحابة الكرام

و التابعون لهم باحسان ، دائمة الدين ، فهموا القرآن و السنة ، و فهموا معنى لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وبذلوا أنفسهم وأموالهم فى سبيل إعلامها ، تعبيراً عن إيمانهم المخلص ، و حبهم الصادق ؛ و لم يغلوا فى رسول الله هذا الغلو ، فلم يستغيثوا به فى شدة ، و لم يدعوا أنه يعلم الغيب ، و لم يقيموا الاحتفالات بمولده ، لأن هذه الأمور ليست من الدين الاسلامى فى شئ .

و لكن قوماً من هنا و هناك اندسوا فى صفوف المسلمين ، و تظاهروا بالاسلام و هم يهدفون إلى هدم الاسلام و الاتيان عليه من القواعد ، فأقحموا هذه البدع و هذه الكفريات فى أذهان قوم لايميزون بين الغث و السمين ، فراجت فى المجتمعات الاسلامية و سرت فيها سريان السم ، فكانت النتيجة ، ماترى من بعد الناس عن فهم القرآن و السنة و مصادمتهم الظاهرة لها . بحيث أنك تقرأ الآيات العديدة و الأحاديث الصحيحة الكثيرة على الواحد أو الجماعة لاقناعهم أن هذا الشئ ، ليس من الدين فتراهم لا يتأثرون بها ، و لا يعبأون بها ، و لا يرفعون لها رأساً ، وكأنك قد جئتهم بدين جديد .

« فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله و أولئك هم أولو الألباب .